وانما اريد بالسمع الباطن ولا يدرك السمع الظاهر الا الاصوات ويشاركه الحيوان فيشارك الانسان
فيه واما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال وهو نطق وراء نطق المقال يشبه قول القايل حكاية
الكلام الوتد والحايط قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فلم يتركني وراء الحجر الذي ورائي
وما من ذرة في السموات والارض الا ولها انواع شهادات لله سبحانه بالوحدانية هي توحيدها وانواع
شهادات لصانعها بالتقديس هي تسبيحها ولكن لا يفقهون تسبيحها لانهم لم يسافروا من مضيق
سمع الظاهر الى فضاء سمع الباطن ومن ركاكة لسان المقال الى فصاحة لسان الحال ولو قدر كل عاجز
على مثل هذا السير لما كان سليمان عليه السلام مختصا بفهم منطق الطير ولما كان موسى عليه السلام
مختصا بسمع كلام الله تعالى الذي يجب تقديسه عن مشابهة الاصوات ومن سافر ليستقري هذه
الشهادات من الاسطر المكتوبة بالخطوط الالهية على صفحات الجمادات لم يطل سفره بالبدن
بل يستقر في موضع ويفرغ قلبه للتمتع بسماع نغمات التسبيحات من احاد الذرات فما له وللتردد
في الفلوات وله غنية في ملكوت السموات فالشمس والنجوم مسخرات وهي الى ابصار ذوي البصاير
مسافرات في الشهر والسنة مرات بل هي دائبة في الحركة على توالي الاوقات فمن الغرايب ان يدأب
في الطواف باحاد المساجد من امرت الكعبة ان تطوف به ومن الغرايب ان يطوف في اكناف الارض
من يطوف به اقطار السماء ثم ما دام المسافر مفتقرا الى ان يبصر عالم الملك والشهادة بالبصر
الظاهر فهو بعد في المنزل الاول من منازل السايرين الى الله والمسافرين الى حضرته وكانه معتكف
على باب الوطن لم يفض به السير الى متسع الفضاء ولا سبب لطول المقام في هذا المنزل الا الجبن
والقصور ولذلك قال بعض ارباب القلوب ان الناس ليقولون افتحوا اعينكم حتى تبصروا
وانا اقول غمضوا اعينكم حتى تبصروا وكل واحد من القولين حق الا ان الاول خبر عن المنزل
الاول القريب من الوطن والثاني خبر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التي لا يطاها
الا مخاطر بنفسه والمجاوز اليها ربما يتيه فيها سنين وربما ياخذ التوفيق بيده فيرشده الى سواء
السبيل والهالكون في التيه هم الاكثرون من ركاب هذه الطرق ولكن السايحين السالمين بنور التوفيق
فازوا بالنعيم والملك المقيم وهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى واعتبر هذا بملك الدنيا فانه يقل
بالاضافة الى كثرة الخلق طلابه ومهما عظم المطلوب قل المساعد ثم الذي يهلك اكثر من الذي يملك
ولا يتصدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظم الخطر وطول التعب وقال

واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام

فما ادرك العز والملك في الدين والدنيا الا مع الخطر وقد يسمي الجبان الجبن والقصور باسم الحزم
والحذر ترى الجبناء ان الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم

فهذا حكم السفر الظاهر اذا اريد به السفر الباطن بمطالعة ايات الارض فلنرجع الى الغرض الذي كنا نقصده
ولنبين القسم الثاني وهو ان يسافر لاجل العبادة اما الجهاد او حج وقد ذكرنا فضل ذلك واد ابه
واعماله الظاهرة والباطنة في كتاب اسرار الحج ويدخل في جملته زيارة قبور الانبياء وقبور الصحابة
والتابعين وساير العلماء والاولياء وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد
وفاته ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى
ثلثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى لان ذلك في المساجد فانها متماثلة بعد
هذه المساجد والا فلا فرق بين زيارة قبور الانبياء والاولياء والعلماء في اصل الفضل وان كانت
تتفاوت في الدرجات تفاوتا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله تعالى وبالجملة زيارة الاحياء
اولى من زيارة الاموات والفايدة من زيارة الاحياء طلب بركة الدعاء وبركة النظر اليهم فان
النظر الى وجوه العلماء والصلحاء عبادة وفيه ايضا تحريك الرغبة في الاقتداء بهم والتخلق باخلاقهم
وادابهم هذا سوى ما ينتظر من الفوايد العلمية المستفادة من انفاسهم وافعالهم كيف ومجرد
زيارة الاخوان في الله فيه فضل كما ذكرناه في كتاب الصحبة وفي التوراة سر اربعة اميال زر اخا في الله
واما البقاع فلا معنى لزيارتها سوى المساجد الثلاثة وسوى الثغور للرباط بها فالحديث ظاهر
في انه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع الا الى المساجد الثلاثة وقد ذكرنا فضايل الحرمين في كتاب الحج
وبيت المقدس ايضا له فضل كبير خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من المدينة قاصدا بيت المقدس
حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كر راجعا من الغد الى المدينة وقد سال سليمان ربه عز وجل
ان من قصد هذا المسجد لا يعنيه الا الصلاة فيه ان لا تصرف نظرك عنه ما دام مقيما فيه حتى يخرج منه
وان تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته امه فاعطاه الله عز وجل ذلك

القسم الثالث

ان يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين وذلك ايضا حسن فالفرار مما لا يطاق من سنن
المرسلين ومما يجب الهرب منه الولاية والجاه وكثرة العلايق والاسباب فان ذلك يشوش
فراغ القلب والدين لا يتم الا بقلب فارغ عن غير الله عز وجل فان لم يتم فراغه فبقدر فراغه
يتصور ان يشتغل بالدين ولا يتصور فراغ القلب في الدنيا عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية
ولكن يتصور تخفيفها وتثقيلها وقد نجا المخففون وهلك المثقلون والحمد لله الذي لم يعلق النجاة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)